

محمد الغزالي

اقتباسات من كتاب

جَدُّ حَيَاتِكَ

أعدّها: عبدالرحمن قعيّد القحطاني



كثيرا ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحة جديدة في حياته، ولكنه يقرن هذه البداية المرغوبة بموعد مع الأقدار المجهولة، كتحسّن في حالته، أو تحوّل في مكانته.

وقد يقرنها بموسم معين، أو مناسبة خاصة كعيد ميلاد، أو غرة عام مثلاً.

وهو في هذا التسويف يشعر بأن رافداً من روافد القوة المرموقة قد يجيء مع هذا الموعد، فينشطه بعد خمول ويمنيّه بعد إياس.

وهذا وهم

فإن تجدد الحياة ينبع قبل كل شيء من داخل النفس.

محمد الخزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن الإنسان أحوج الخلائق إلى التنقيب
في أرجاء نفسه وتعهّد حياته الخاصة
والعامّة بما يصونها من العلل والتفكك.

ذلك أن الكيان العاطفي والعقلي
للإنسان قلما يبقى متماسك اللبّات مع
حدة الاحتكاك بصنوف الشهوات
وضروب المفريات... فإذا ترك لعوامل
الهدم تنال منه فهي آتية عليه لا محالة،
وعندئذ تنفرط المشاعر العاطفية
والعقلية كما تنفرط حبات العقد إذا
انقطع سلكه... وهذا شأن ﴿مَنْ أَعْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا﴾ [الكهف - 28] كما يقول الله عز وجل.

محمد الخزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن تجديد الحياة لا يعني إدخال
بعض الأعمال الصالحة، أو النيات
الحسنة وسط جملة ضخمة من
العادات الذميمة والأخلاق السيئة،
فهذا الخلط لا ينشئ به المرء
مستقبلاً حميداً، ولا مسلكاً مجيداً

...

فالأشعار قد تمر بضمائرهم فترات
صحو قليل ثم تعود بعد ذلك إلى
سباتها. ولا يسمى ذلك اهتداء، إن
الاهتداء هو الطور الأخير للتوبة
النصوح.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن العيش في حدود اليوم
لا يعني تجاهل المستقبل، أو
ترك الإعداد له، فإن اهتمام
المرء بفدّه وتفكيره فيه حصة
وعقل.

وهناك فارق بين الاهتمام
بالمستقبل والاغتمام به، بين
الاستعداد له والاستفراق فيه،
بين التيقظ في استغلال اليوم
الحاضر وبين التوجس المربك
المحير مما قد يفد به الفد.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

أُتدري كيف يسرق عمر
المرء منه؟

يذهل عن يومه في
ارتقَاب غده، ولا يزال
كذلك حتى ينقضي
أجله، ويده صفر من أي
خير.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

المال إذا طلبناه فلكي تنفقه لا
لكي نخترنه، وإذا أحببناه
وحصلناه فلنبذله في ما يحقق
مصالحنا ويصون حياتنا.

ومن حماقة أن يتحول المال
إلى هدف مقصود لذاته تذوب
في جمعه المهج، وترتخص
العافية، وتتكاثر الهموم،
وتجتذب الأمراض!

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن المال كالفاكهة الجميلة اللون،
الشهية المذاق، وميل الطباع إلى اقتناء
هذا الخضر الحلو معروف، بيد أن من
الناس من يظل يطعم حتى تقتله التخممة.
ومنهم من يختطف مافي أيدي الآخرين
إلى جانب نصيبه المعقول. ومنهم من
يدخر ويجوع. ومنهم من يشغله القلق
خشية الحرمان، ومن يشغله القلق طلب
المزيد.

وأفضل الناس من يأخذونه بسماحة
وشرف، فإذا تحول عنهم لم يشيعوه
بحسرة أو يرسلوا وراءه العبرات لأن
بناءهم النفسي يقوم وحده بعيداً عن
معايير المكاثرة، ورزائل النهم والتوسع.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

لا أعرف مظلوماً تواطأ الناس على
هضمه، وزهدوا في إنصافه
كالحقيقة!

ما أقل عارفيها، وما أقل - في
أولئك العارفين - من يقدرها ويفعلي
بها ويعيش لها!

إن الأوهام والظنون هي التي تمرح
في جنبات الأرض، وتفدو وتروح بين
الألوف المؤلفة من الناس. ولو
ذهبت تبحث عن الحق في أغلب ما
ترى وتسمع لأعياءك طلابه.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران - 159]

إن مرحلة المشورة في أمر ما
لايجوز أن تستمر أبداً، بل هي
حلقة تسلم إلى ما بعدها من
عمل واجب.

فإذا تقرر العمل، فلنمض في
إتمامه قُدماً، ولنقهر على
القعود والخوف، ولنستعن بالله
حتى نفرغ منه.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إنَّ المجد والنجاح والإنتاج
تظلُّ أعلاماً لذيذة في
نفوس أصحابها، وما
تتحول حقائق حياة إلا إذا
نفخ فيها العاملون من
روحهم، ووصلوها بما في
الدنيا من حسٍّ وحركة.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن تعشّق الكمال قد ينتهي إلى
حسن الحديث عنه، وقد يكتفي
عشاقه بسرد تفاصيل دقيقة عن
مسائله وقضاياه.

ثم يطوى الأمر كله دون نتيجة
فعالة. كما تموت الأمانى الحلوة
في نفوس الكسالى.

وقد ذكر الله عز وجل هذا اللون من
السلوك الناقص لأنه أقرب إلى
الإدعاء، ولأن أصحابه يقصرون وهم
أبصر من غيرهم بمواطن الرشده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف 2-3]

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

ففي أحضان البطالة تولد
آلاف الرذائل، وتختمر
جراثيم التلاشي والفساد.
إذا كان العمل رسالة
الأحياء فإن العاطلين
موتى.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن الحق إذا استنفد ماله
الإنسان من طاقة مختزنة
لم يجد الباطل بقية يستمد
منها.

وإذا استولى على قلبه
ولبه فلا مجال لوساوس
اللهو وهواجس الريبة.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ*
لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد 22-23]

وليس القصد مصادرة الطبع الإنساني في إحساسه بالألم والسرور. وإنما القصد منع الاستفراق المذهل، فإن للفرحة الطاغية نشوة تخرج عن الصواب، وللحزن الجاثم وطأة تسحق الإرادة.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

اجتهد أَلَا تسلك طريق
ضلالة، فإذا سلكته - تحت
أي ضغط أو إغراء -
فاجتهد أَلَا توغل فيه.
وعد من حيث جئت في
أقرب فرصة، وفي أسرع
وقت..

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن أُولى هدايا الرياء إلى ذويه أنهم
يسلبون نعمة القرار، وراحة البال!
وأنهم يضحّون بمصالحهم الخاصة،
وحاجاتهم الماسة في سبيل استرضاء
المتفرجين عليهم، والناظرين إليهم.
وربما أخذ ممثلو المسارح أجوراً كبيرة
على الأدوار التي يقومون بها،
والروايات الضاحكة أو الباكية التي
يخرجونها!

أما أولئك المرءون - وهم ممثلون
في غير مسرح - فإنهم يدفعون من
أموالهم وسعادتهم ما يظنونهم ثمناً
لاسترضاء الناس ونيل إعجابهم.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً» [الطبراني]

...

فليس ذكر الموت لإفساد الحياة وإساءة العمل فيها، بل للتخفيف من غلوائها وكفكفة الاغترار بها. فإذا اعتدل التفكير فلن تتحول السعة إلى فوضى، ولن يتحول الضيق إلى سجن.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

لو أن أيدينا يمكنها أن تمتد إلى
الماضي لتمسك حوادثه
المدبرة، فتغير منها ما تكره،
وتحورها على ما تحب؛ لكانت
العودة إلى الماضي واجبة،
ولهرعنا جميعاً إليه، نمحو
ماندمننا على فعله، ونضاعف ما
قلّت أنصبتنا منه.

أما وذلك مستحيل فخير لنا أن
نكرّس الجهود لما نستأنف من
أيام وليالي، ففيها وحدها
العِوض.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن الإنسان عندما يرتفع عن
سطح الأرض تتغير الأشكال
والأحجام في عينه، وتكون
نظريته إلى ما دونه أوسع
مدى وأرحب أفقاً.

وهو هو لم يتغير.
كذلك ارتفاع الإنسان في
مدارج الإرتقاء الثقافي
والكمال الخلقى.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

حين تسدي إلى أحد معروفاً قدّم
جميلك عشقاً لصنائع المعروف
وابتغاء مالدي الله من مثوبة.
ولاتعوّل على حمد أحد أو تقديره،
كن كما وصف الله الأبرار من عباده:
﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ
اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾
[الإنسان 8-9]

وليس المقصود أنهم يقولون ذلك
بألسنتهم، فذاك مستبعد لأنه قد
يؤذي أصحاب الحاجات، وإنما ذلك
ترجمة لما في قلوبهم من نيات
صافية، ومشاعر نظيفة.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

وليس كل أمرئ يُؤْتَى القدرة
على تحويل قسمته المكروهة
إلى حظ مستحب ذي جدوى،
فإن عُشَّاق السُّخْطِ ومدمني
الشكوى أفضل الناس في
إشراب حياتهم معنى السعادة
إذا جفَّت منها، أو بتعبير أصحَّ
إذا لم تجئ وُفق مايشتهون.
أما أصحاب اليقين وأولو العزم
فهم يلقون الحياة بما في
أنفسهم من رحابة قبل أن
تلقاهم بما فيها من عنت.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

وجمهور كبير من الناس يعيشون في حدود مطالبهم الخاصة، فإذا كانت لهم حاجة اشتد إحساسهم بها، وطال إلحاحهم في قضائها، ولا يزالون يسعون وراء الذي لهم - أو بتعبير أدق - ما يرون أنه لهم حتى يدركوه عن آخره، بل يزيدون ويفالون.

أما إذا كان عليهم شيء فهم يذهلون عنه، وقلمًا يذكرونه إلا إذا طُوبوا به وأزعجوا إليه، فإذا أدَّوه بعد ذلك فهو أداء ناقص مبتسر.

هذا لون من الأثرة الجشعة الجائرة ذكر القرآن بعض صورته في قوله عز وجل:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[المطففين 1-6]

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور 48-50]

إن هذا النوع من الخلق الرديء يُسيء إلى المجتمع الإسلامي إساءة بالغة.

فإن الشخص الذي لا تهيجه إلى منفعه الخاصة، ولا يكثرث للمصلحة العامة شخص تشقى به البلاد والعباد.

وكم تُضارّ الدولة من موظف يستفرق انتباهه كله حديث المرتبات والزيادات، ولا يهتم أدنى اهتمام بحديث العمل الواجب.

إنه لا يشعر إلا بما يحسبه حقاً له، أما ما ارتبط بخدمته من تكاليف، واقترن بهمته من مطالب وأعمال فهو لا يدريه.

وما على هذا تبني أمة، أو يقوم مجتمع.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

انظر إلى الريح العاصف، إنه يهب
على الصحراء فيثير فيها الغبار.
ويهب على الماء فيُفْضِن وجهه،
ويحرك لُجَجَه.

ولكنه يناوش الجبال الشم فلا ينال
منها منالاً.

والإنسان إذا كان أمره فرطاً، فإن
وساوس الشيطان تثير داخل نفسه
زوابع لا ينتهي لها دوار ولا عكار.
أما يوم يحزم أمره، ويتنظم الإيمان
شؤونه كلها، فتهيئات أن يهتز
لهجمات الأبالسة.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

والواقع أنني استقصيت حالات كثيرة جداً
لعلماء الغرب ومفكره، فاستيقنت أن في
نفوسهم إيماناً حسناً، وأن معرفتهم بالله
تجري في نسق أبعد من ضيق اليهودية
وتعقيد النصرانية وأدنى إلى سماحة الإسلام
وبساطته.

ولكن هؤلاء يكرهون الإسلام والمسلمين
مع ذلك!!

وهم معذورون في هذه الكراهية إلى حد
ما، فأهل الإسلام حجاب غليظ دون تعاليمه.
وتقهقرهم البالغ في كل ميدان يصد عامة
الناس عن إحسان الظن به.

ورسالة محمد نفسها - من الناحية العلمية
البحث - لم تُعرض عرضاً يُري الناس جوهرها
كما جاء من عند الله!!

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

انظر إلى قوله صلى الله عليه
وسلم: «لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»
تراه يدل الأمر بالتوكل، لا على
على نفي الأسباب، بل إنه يدل
على إتيانها بقوله: تغدو،
وتروح!! فقد أثبت لها غدواً
ورواحاً. وهذا سببها الذي تحيا
به وتعيش عليه.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

إن الرُكُض في ميادين الحياة بقدر
ما يجلُّ البدن بالفِبار والعرق يجلل الروح
بالغيوم والأكدار.

والمرء - إثر كل شوط طويل - يحتاج
إلى ساعة يلم فيها شعته، ويعيد
النظافة والنظام إلى ما تعكر وانتكث
من شأنه كله.

وليست الصلاة إلا لحظات لاسترجاع
هذا الكمال المفقود أو المنشود.

...

الصلاة تَسَامٍ يرفع المرء إلى السماء
كلما أخلد إلى الرض، ويصله بالله كلما
قطعتة عنه أسباب الغفلة والذهول.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

تلك طبيعة الإيمان إذا تغفل
واستمكن، إنه يضيف على صاحبه
قوة تنطبع في سلوكه كله، فإذا
تكلم كان واثقاً من قوله، وإذا
اشتغل كان راسخاً في عمله. وإذا
اتجه كان واضحاً في هدفه.
وما دام مطمئناً إلى الفكرة التي
تملأ عقله، وإلى العاطفة التي
تعمر قلبه، فقلما يعرف الترددُ
سبيلاً إلى نفسه، وقلما تزحزحه
العواصف العاتية عن موقفه.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"

وكلمة أخيرة إلى علماء المسلمين:
إن قصر باعهم في علوم الحياة هو
أبشع جريمة يمكن أن ترتكب ضد
الإسلام.

هذا القصور إن أمسوا به في هذه
الدنيا متخلفين، فهم عند الله
ورسوله أشد تخلفاً وأسوأ عقبى.
إن أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا
في ظمأ هائل إلى مزيد من
المعرفة والضياء.

محمد الفزالي

من كتاب "جدد حياتك"